الارض ويويده ما قاله الشيخ عز الدين بن عبد السلام في تفضيل بعض الاماكن على بعض من ان الاماكن والازمان كلها متساوية
ويفضلان بما يقع فيهما لا بصفات قايمة بهما قال ويرجع تفضيلهما الى ما ينيل العباد فيهما ان الله يجود على عباده بتفضيل
اجر العاملين فيهما انتهى ملخصا لكن تعقبه الشيخ تقي الدين السبكي بما حاصله ان الذي قاله لا ينبغي ان يكون التفضيل لامرين
اخرين فيهما وان لم يكن عمل لان قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تتنزل عليه من الرحمة والرضوان والملايكة وله عند الله من المحبة ولساكنه
ما تقصر العقول عن ادراكه وليس ذلك لمكان غيره فكيف لا يكون افضل وليس محل عمل لنا لانه ليس مسجدا ولا له حكم المسجد
بل هو مستحق للنبي صلى الله عليه وسلم وايضا فقد تكون الاعمال مضاعفة فيه باعتبار ان النبي صلى الله عليه وسلم حي كما تقرر وان اعماله
مضاعفة اكثر من كل احد فلا يختص التضعيف باعمالنا نحن قال ومن فهم هذا انشرح صدره لما قاله القاضي عياض من
تفضيل ما ضم اعضاءه الشريفة صلى الله عليه وسلم باعتبارين احدهما ما قيل ان كل احد يدفن في الموضع الذي خلق منه والثاني تنزل الرحمة
والبركة عليه واقبال الله تعالى ولا نسلم ان الفضل للمكان لذاته ولكن لاجل من حل فيه صلى الله عليه وسلم انتهى وقد روى ابو يعلى
عن ابي بكر انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يقبض النبي صلى الله عليه وسلم الا في احب الامكنة اليه ولا شك ان احبها اليه
احبها الى ربه تعالى لان حبه تابع لحب ربه عز وجل وما كان احب الى الله ورسوله كيف لا يكون افضل وقد قال صلى الله عليه وسلم اللهم ان
ابراهيم دعاك لمكة واني ادعوك للمدينة بمثل ما دعاك ابراهيم لمكة ومثله معه ولا ريب ان دعا النبي صلى الله عليه وسلم افضل من دعا
ابراهيم لان فضل الدعا على قدر فضل الداعي وقد صح انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم حبب الينا المدينة كما حببت الينا مكة او اشد
وفي رواية بل اشد وقد اجيبت دعوته حتى كان يحرك دابته اذا راها من حبها وروى الحاكم انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم انك
اخرجتني من احب البقاع الي فاسكني في احب البقاع اليك اي في موضع تصيره كذلك فيجتمع فيه الحبان قيل ضعفه ابن عبد
البر ولو سلمت صحته فالمراد احب اليك بعد مكة لحديث ان مكة خير بلاد الله وفي رواية احب ارض الله الى الله ولزيادة قرة
التضعيف بمسجد مكة وتعقبه العلامة السيد السمهودي بان ما ذكر لا يقتضي صرفه عن ظاهره اذ القصد به الدعا لدار
هجرته بان يصيرها الله كذلك وحديث ان مكة خير بلاد الله وفي رواية احب ارض الله الى الله ولزيادة التضعيف
بمسجد مكة وتعقبه العلامة محمول على بدء الامر قبل ثبوت الفضل للمدينة واظهار الدين وافتتاح البلاد منها
حتى مكة فقد اناتها واناف بها ما لم يكن لغيرها من البلاد فظهر اجابة دعوته وصيرورتها احب مطلقا بعدها
ولهذا افترض الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم الاقامة بها وحث هو صلى الله عليه وسلم على الاقتدا به في سكناها والموت
بها فكيف لا تكون افضل قال واما مزيد المضاعفة فاسباب التفضيل لا تنحصر في ذلك والصلوات الخمس بمنى للمتوجه
بعرفة افضل منها بمسجد مكة وان انتفت عنها المضاعفة اذ في الاتباع ما يربو عليها ومذهبنا شمول المضاعفة
للنفل مع تفضيله بالمنزل ولهذا قال عمر رضي الله تعالى عنه بمزيد المضاعفة لمسجد مكة مع قوله بتفضيل المدينة ولم
يصب من اخذ من قوله بمزيد المضاعفة تفضيل مكة اذ غايته ان للمفضول مزية ليست للفاضل مع ان دعاه صلى
الله عليه وسلم بمزيد تضعيف البركة بالمدينة على مكة شامل للامور الدينية ايضا وقد يبارك في العدد القليل فيربو
نفعه على الكثير ولهذا استدل به على تفضيل المدينة وان اريد من حديث المضاعفة الكعبة فقط فالجواب ان الكلام
فيما عداها فلا يرد شي مما جا في فضلها ولا ما بمكة من مواضع النسك لتعلقه بها ولذا قال عمر رضي الله تعالى عنه لعبد الله
المخزومي انت القايل لمكة خير من المدينة فقال عبد الله هي حرم الله وامنه وفيها بيته فقال عمر لا اقول في حرم الله
وبيته شيا فاشير الى عبد الله فانصرف وقد عوضت المدينة عن العمرة ما صح في اتيان مسجد قبا وعن الحج ما جا في
فضل الزيارة والمسجد والاقامة بعد النبوة بالمدينة وان كانت اقل من مكة على القول فقد كان سببا لاعزاز الدين

واظهار

واظهاره ونزول اكثر الفرايض واكمال الدين حتى كثر تردد جبريل عليه السلام بها ثم استقر بها صلى الله عليه وسلم الى قيام الساعة ولهذا قيل
لمالك ايما احب اليك المقام هنا يعني بالمدينة او بمكة فقال هاهنا وكيف لا اختار المدينة وما بها طريق الا سلك عليها رسول الله صلى
الله عليه وسلم وجبريل ينزل عليه من عند رب العالمين في اقل من ساعة وروى الطبراني حديث المدينة خير من مكة وفي رواية للجندي (بفتح الجيم والنون)
افضل من مكة وفيه محمد بن عبد الرحمن الرداد ذكره ابن حبان في الثقات وقال كان يخطي وقال ابو زرعة لين وقال ابن عدي رواياته ليست
محفوظة وقال ابو حاتم ليس بقوي وفي الصحيحين عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت بقرية تاكل القرى يقولون يثرب
وهي المدينة تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد اي امرني الله بالهجرة اليها ان كان قاله عليه الصلاة والسلام بمكة او سكناها ان
كان قاله بالمدينة وقال القاضي عبد الوهاب لا معنى لقوله تاكل القرى الا رجوع فضلها عليها اي على القرى وزيادتها على غيرها
وقال ابن المنير يحتمل ان يكون المراد بذلك غلبة فضلها على فضل غيرها اي ان الفضايل تضمحل في جنب عظيم فضلها حتى تكون عدما
وهذا ابلغ من تسمية مكة ام القرى لان الامومة لا ينمحي معها ما هي له ام لكن يكون لها حق الامومة انتهى ويحتمل ان يكون المراد
غلبة اهلها على القرى والاقرب حمله عليهما اذ هو ابلغ في الغرض المسوق له انتهى ما قاله السيد السمهودي وقد اطلت في الاحتجاج
لتفضيل المدينة على مكة وان كان مذهب امامنا الشافعي رحمه الله تعالى تفضيل مكة لان هوى كل نفس اين حل حبيبها
علي لربع العامرية وقفة ۞ ليملي علي الشوق والدمع كاتب ۞ ومن مذهبي حب الديار لاهلها ۞ وللناس فيما يعشقون مذاهب
على ان للقلم في ارجا تفضيل المدينة مجالا واسعا ومقالا جامعا لكن الرغبة في الاختصار تطوي اطراف بساطه والرهبة من الاكثار
تصرف عن تطويله وافراطه وقد استنبط العارف ابن ابي جمرة من قوله عليه الصلاة والسلام المروي في البخاري ليس من بلد الا سيطاه
الدجال الا مكة والمدينة التساوي بين فضل مكة والمدينة قال وظاهر هذا الحديث يعطي التسوية بينهما في الفضل لان
جميع الارض يطاوها الدجال الا هذين البلدين فدل على تسويتهما في الفضل قال ويوكد ذلك ايضا من وجوه النظر لانه ان كان
خصت المدينة بمدفنه عليه الصلاة والسلام واقامته بها ومسجده فقد خصت مكة بمسقطه عليه الصلاة والسلام بها ومبعثه
منها وهي قبلته فمطلع شمس ذاته المباركة مكة ومغربها المدينة واقامته بعد النبوة على المشهور من الاقاويل بمكة مثل اقامته عليه
الصلاة والسلام بالمدينة عشر سنين في كل واحدة منها كذا قال وانت اذا تاملت قوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه مسلم من حديث
سعد ياتي على الناس زمان يدعو الرجل ابن عمه وقريبه هلم الى الرخا والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون والذي نفسي بيده لا يخرج
احد رغبة عنها الا اخلف الله فيها خيرا منه ظهر لك ان فيه اشعارا بذم الخروج من المدينة بل نقل الشيخ محب الدين الطبري عن قوم
انه عام ابدا مطلقا وقال انه ظاهر اللفظ وفي صحيح مسلم من حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يصبر على لاوا المدينة
وشدتها احد من امتي الا كنت له شفيعا يوم القيامة او شهيدا وفيه عن سعد مولى المهري انه جا الى ابي سعيد الخدري ليالي الحرة فاستشاره
في الجلا من المدينة وشكى اليه اسعارها وكثرة عياله واخبره انه لا صبر له على جهد المدينة ولاوايها فقال ويحك لا امرك
بذلك اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يصبر احد على لاوايها الا كنت له شفيعا او شهيدا يوم القيامة واللاوا بالمد
الشدة والجوع واو في قوله الا كنت له شفيعا او شهيدا الاظهر انها ليست للشك لان هذا الحديث رواه جابر بن عبد الله وسعد
بن ابي وقاص وابن عمر وابو هريرة وابو سعيد واسما بنت عميس وصفية بنت ابي عبيد عنه صلى الله عليه وسلم بهذا اللفظ ويبعد
اتفاق جميعهم ورواتهم على الشك وتطابقهم فيه على صيغة واحدة بل الاظهر انه قاله عليه الصلاة والسلام ويكون او
للتقسيم ويكون شهيدا لبعض اهل المدينة وشفيعا لباقيهم اما شفيعا للعاصين وشهيدا للمطيعين واما شهيدا
لمن مات في حياته وشفيعا لمن مات بعده او غير ذلك وهذه خصوصية زايدة على الشفاعة للمذنبين وللعالمين
في القيامة وعلى شهادته على جميع الامم فيكون لتخصيصهم بهذا كله علو مرتبته وزيادة منزلته وحظوة واذا قلنا

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)